Al-Daleel
مؤسسة الدليل للدراسات والبحوث العقدية
Al-Daleel Institution for Doctrinal Studies

The Mythological Mode of Thought and Its Influence on Human Intellect

Adnan Hashim Al-Hussaini
Assistant Professor of Islamic Jurisprudence and Knowledge, Al-Mustafa International University, Iraq.
E-mail: a.alhusseini@aldaleel-inst.com

Abstract

This study investigates myth as a formative mode of thought, examining how it developed into a distinct intellectual framework through which human beings sought to articulate responses to fundamental existential questions. Myth provided a means of transcending the surface of phenomena in search of hidden causes, enabling a transition from mere wonder to interpretive explanation. Far from being products of pure imagination, myths often reflect elements of lived reality. The study identifies two principal factors underlying the rise of mythological thinking: the absence of rational or scriptural explanations of existence, and the predominance of materialist modes of reasoning. Employing descriptive, analytical, and inferential methodologies, the study explores the relationship between myth and belief, as well as the intersections between mythological and religious thought. The findings show that ancient civilizations-and indeed many societies today-continue to rely significantly on mythological frameworks in their reflections on existence, origin, and destiny. Some myths exhibit affinities with certain religious and historical truths, while others emerge from imagination or as reactions to social, cosmic, or existential concerns. Yet, this phenomenon does not warrant the claim that the Qur'an is myth or mere human speculation about the transcendent. The study concludes that the mythological mode of thought has left a profound and enduring influence on human intellectual history, shaping patterns of reflection in both ancient and modern contexts.

Keywords: Thought, Myth, Mythological thought, Religions, Belief.

Al-Daleel, 2025, Vol. 8, No. 1, PP .39-62

Received: 12/07/2025; Accepted: 29/07/2025

Publisher: Al-Daleel Institution for Studies and Research

© the author(s)

مؤسسة الدليل
للدراسات والبحوث العقدية
Al-Daleel Institution
for Doctrinal Studies
الدليل
Al-Daleel

نمط الفكر الأسطوري وتأثيره على الفكر الإنساني

عدنان هاشم الحسيني

أستاذ مساعد في الفقه والمعارف الإسلامية، جامعة المصطفى العالمية، العراق.

البريد الإلكتروني: a.alhusseini@aldaleel-inst.com

الخلاصة

يتناول البحث الأسطورة وكيفية تحوّلها إلى نمط فكري له خصوصية في التعبير عمّا يجول في ذهن الإنسان إزاء الأسئلة الرئيسية في الوجود، ومن ثمّ تخطّيه حواجز الظواهر نحو أسبابها الخفيّة، وخروجه من حالة الدهشة إلى حالة التفسير. إنّ الأساطير لا تنبعث عن خيال محض على الأغلب، بل قد تنشأ عن أمر واقعي. وقد تمّ إرجاع الأسباب التي أدّت إلى نشوء الفكر الأسطوري إلى سببين رئيسيين: فقدان التفسير العقلي والنصّي للوجود والمنهج المادّي في التفكير. وبالاعتماد على المنهج التوصيفي والتحليلي والمنهج الاستنباطي تمّ بيان العلاقة بين الأسطورة والعقيدة والوشائج بين نمط التفكير الأسطوري ونمط التفكير الديني، وتبيّن أنّ شعوب العالم القديم وبعض شعوب اليوم لا تنفكّ في الأعمّ الأغلب عن الفكر الأسطوري في حيثيات تفكّرها في الوجود والمبدإ والمعاد، وإنّ بعض الأساطير ذات شبه ببعض الحقائق الدينية والتاريخية وبعضها الآخر نابع عن خيال محض أو ردّ فعل تجاه قضايا اجتماعية أو كونية أو غير ذلك، ولكنّ هذا لا يسوّغ وصم القرآن بالخرافة والأسطورة وأنّه محض تصوّرات بشرية عن المتعالي. ولقد كان لنمط الفكر الأسطوري تأثير لا يخفى على الفكر الإنساني قديمًا وحديثًا.

الكلمات المفتاحية: الفكر، الأسطورة، الخرافة، الفكر الأسطوري، الأديان، العقيدة.

مجلّة الدليل، 2025، السنة الثامنة، العدد الأوّل، ص. 39 ـ 62

استلام: 2025/07/12، القبول: 2025/07/29

الناشر: مؤسّسة الدليل للدراسات والبحوث

© المؤلّف

CC BY NC

المقدّمة

لا ينفـكّ الإنسـان عـن التفكـير والتأمّـل في كتـاب الوجـود، ويكابـد مـن أجـل الوصـول إلى الحقيقـة، ويقـضّ مضجعـه غيـاب الإجابـة عمّـا يجـول في خاطـره مـن أسـئلة مصيريـة تقـود إلى العلـل الغائيـة لمبدئـه ومنتهـاه، ومـن هنـا بـدأت الأسـطورة الـتي أخـذت جانبًـا كبـيرًا في حـيّز الفكـر الإنسـاني؛ لأنّهـا المنفـذ الفاقـد للقيـود، يتنفّـس مـن خلالهـا تفكـير الإنسـان حـول الوجود وعوالـم الغيـب حينمـا لا يعـثر على صراط الحـقّ أو يعانـده؛ تمسّـكًا بمـا درج عليـه آبـاؤه وأجـداده، مقـلّدًا نهجهـم دون رويّـة التفكـير الدلالي الصائـب.

وكان الفكـر الأسـطوري باكـورة الفكـر الإنسـاني، وبحسـب أحـد الباحثـين «التفكـير الميثولوجي أوّل أشـكال الـوعي التاريخيـة وأكثرهـا بدائيـةً» [الخطيـب، الحضـارة الإغريقيـة ص49]. حـتىّ أنّ الأنبيـاء اتّهمـوا بأنّهـم يؤسـطرون، وذكـر القـرآن ذلـك في عـدّة آيـات منهـا: ﴿**وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ**﴾ [سورة الأنفال: 31]، ممّـا يشـير إلى مـا تحتلّـه الأسـطورة مـن مكانـة في أذهـان النـاس آنـذاك؛ الأمـر الذي دعا بعضهـم إلى رفـض دعـوات الأنبيـاء؛ بحجّـة أنّ أخبارهـم عـن عالـم الغيـب شـبيهة بمـا جـاء في الأسـاطير القديمـة قـدم وجـود البشريـة على الأرض، ووصفوهـم بــ "الأوّلـين".

سـنبيّن في هـذه الرحلـة المختـصرة مفهـوم الأسـطورة والمصطلحـات ذات العلاقـة، وحجـم علاقة الأسـطورة بالعقيـدة، ثـمّ نعـرّج على أسـباب نشـوء الفكـر الأسـطوري، وأخـيرًا سـنبحث في مديـات تأثـير الفكـر الأسـطوري على الفكـر الإنسـاني.

المبحث الأوّل: مفردات البحث

أوّلًا: الأسطورة

أ ـ الأسطورة لغةً

بمراجعة المعاجم اللغوية يتبيّن أنّ الأسطورة ترجع إلى السطر من الأشياء كالشجر عندما تصطفّ، ويستعمل لوصف الكتابة عندما تصفّ الكلمات بعضها إلى الأخرى مشكّلةً صفًّا، أي سطرًا. وذكروا أنّ الأصل في السطر الخطّ والكتابة: ﴿**ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ**﴾ [سورة القلم: 1] أي ما تكتبه الملائكة. ثمّ استخدم اللفظ للدلالة المجازية على أمور أخرى، ومنها أنّ الأساطير أباطيل وأحاديث لا نظام لها، ويقال عنها أيضًا إنّها تشبه الباطل. [انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج 4، ص 363]

ورغم أنّ صاحب لسان العرب ذكر أنّ هذه المفردة تحمل دلالات الباطل واللانظام، لكنّه لم يصفها بالكذب كما فعل صاحب تاج العروس، وبين الباطل والكذب عموم وخصوص مطلق، ثمّ أضاف أنّها تدلّ على ما لا أصل له .[راجع: الزبيدي، تاج العروس، ج 12، ص 26]

وصف الأسطر لا يحمل معنى شرط الكتابة، بل الأعمّ منها ومن الشفوية، فالمهمّ أنّ تكون مصفوفةً سطرًا بعد سطر كالقصائد الشعرية، وربّما شاعر أو حافظ للشعر لا يعرف الكتابة، وبعبارة أخرى، إنّ الأسطورة قد تكون شفويةً ولا يتقيّد وصف الأسطرة بالكتابة.

ومن مجموع ما كتبه أهل اللغة يتبيّن أنّ الأسطورة هي القصص والأحاديث الخيالية التي لا نصيب لها من الواقع؛ وبناءً على ذلك اتّهم الكفّارُ النبيَ الأعظم ﷺ بأنّ ما جاء به أساطير الأوّلين: ﴿**وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا**﴾ [سورة الفرقان: 5]، أي قصص خيالية من إنشاء الماضين، سواءٌ كانت مكتوبةً أم لا.

ولقد اخطأ الباحثون عن الأسطورة في نسبتهم هذه المفردة لغير أهلها مع أنّها جاءت في المعاجم العربية بشكل واضح؛ ولذا جاء في كتاب الأسطورة توثيق حضاري ما يلي: «والحقّ أنّ الكلمة عربية الأصل، حديثًا أصبحت تعني السطور أو الأخبار القديمة المدوّنة المسطورة، وهي بمثابة أوّل كتاب في التاريخ، وقد انتقلت الكلمة إلى اللغات الأجنبية وتطوّرت لتصبح "هـ ـ ستوريا"، والهاء حرف تعريف في اللهجة العربية الفينيقية، ثمّ صارت تعنى فيما بعد بـ"التاريخ" في عدّة لغات، مع قليل من الاختلافات...» [قسم الدراسات والبحوث في جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية، الأسطورة توثيق حضاري، ص 22].

ب ـ الأسطورة اصطلاحًا

هنـاك صعوبـة تكتنـف الباحـث عندمـا يريـد إعطـاء تعريـف للأسـطورة، ولا سـيّما أنّهـا تداخـل أنماطًـا أخـرى مـن الأدبيـات [انظر: السـواح، الأسـطورة والمعنـى، ص 8]، ولكـن ربّمـا يكـون مـا مـرّ بنـا مـن تصريـح اللغويـين بـأنّ الأسـاطير أباطيـل أو أنّهـا شـبه الأباطيـل قـد يقـرّب لنـا جـزءًا مـن المفهـوم الاصطـلاحي، فوصفهـا بالأباطيـل قـد يقصـد منـه الخـبر غـير الواقـعي، أو زيـادة على أمـر قـد وقـع فعـلًا.

ومـن أجـل بلـورة تعريـف للأسـطورة اضطـرّ فـراس السـواح إلى أن يقـوم بـسرد صفـات الأسـطورة ومديـات مغايرتهـا لنتاجـات أخـرى شـبيهة، حـتّى وصـل للتعريـف التـالي: «إنّ الأسـطورة هي حكايـة مقدّسـة، ذات مضمـون عميـق يشـفّ عـن معـانٍ ذات صلـة بالكـون والوجود وحيـاة الإنسـان» [السـواح، الأسـطورة والمعنـى، ص 14].

ولا يختلـف معـنى الأسـطورة في الفكـر الغـربي عنـه في الكتابـات العربيـة، فيعـبّر عنـه باللفـظ اليونـاني (μυθολογία) أي "ميثولوجيـا"، وهي عبـارة عـن حكايـات فولكلوريـة تنتـمي لثقافـة بـلد أو منطقـة معيّنـة، وغالبًـا مـا تكـون حـول أحـداث حقيقيـة أبطالهـا أشـخاص كانـوا على قيـد الحيـاة، حـتّى أنّ سـليمان البسـتاني نقـل عـن إسـطرابون (Strabo) في مقدّمـة ترجمـة الإليـاذة: «إنّ رائـد هومـيروس إنّمـا كان الحقيقـة، وأمّـا الخيـال فإنّمـا اتّخـذه حليـةً وشّى بهـا شـعره» [هومـيروس، الإليـاذة، ص 21]، ولكـن مـع تعظيمهـم وشـهرتهم أضيفـت شـائعات لأعمالهـم، وظلّـت رواياتهـم تُحـكى مـن جيـل إلى جيـل. وهي ـ أي الميثولوجيـا ـ فـرع مـن فـروع العلـوم الـتي تـدرس وتفـسّر الأسـاطير القديمـة أيضًـا. وعادةً مـا تكـون هـذه الأسـاطير دينيـةً أو بطوليـةً، وفيهـا كائنـات وأحـداث لا يمكـن للعقـل تصديـق وجودهـا. وللميثولوجيـا وظيفتـان رئيسـتان، الأولى هي الـردّ على بعـض الأسـئلة مثـل: "مـن خلـق الدنيـا؟"، و"كيـف سـينتهي العالـم؟" و"أيـن سـنذهب بعـد الوجـود؟". والوظيفـة الثانيـة أنّهـا تـبرّر نظامًـا اجتماعيًّـا موجـودًا وسـبب عادات وتقاليـد وطقـوس معيّنـة موجـودة في المجتمـع.

يقـول برنيـس سـلوت (Bernice Slote): «الأسـطورة ... صيغـة سرديـة لتلـك الرمـوز النموذجية[1] الأصليـة بوجـهٍ خـاصٍّ، والـتي تشـكّل معًـا رؤيـا مترابطـةً عمّـا يعـرف الإنسـان ويعتقد.

1- المقصود هي الشخصيات الأساسية في الأسطورة، وتشابه في ذلك ما يكون في الروايات الأدبية.

ويقول هذا التعريف ثلاثة أشياء مهمّة عن الأسطورة: 1ـ أنّها قصّة. 2ـ أنّ الموتيفات[2] التي تؤلّفها هي نماذج أصلية. 3ـ أنّها تتضمّن حقائق أو معتقداتٍ. ويمكننا تعريف النماذج الأصلية بوصفها موتيفاتٍ كلّيةً، أو موتيفاتٍ تميل إلى الوجود في التعبيرات السردية لثقافات كثيرة. وتمثّل النماذج أو الثيمات من قبيل الأمّ العظيمة بوصفها المنبع لكلّ حياة، والرجل العجوز الحكيم الذي يقدّم توجيهًا حيويًّا للعابر الأصغر سنًّا، والهبوط إلى العالم السفلي، وتجدّد الحياة، أمثلة على النماذج الأصلية» [ديكسون، الأسطورة والحداثة، ص 27]. فهناك نحو من التعبير عن آليات ممارسة الحياة من خلال نماذج ولقطات معروفة وغير غامضة عند جميع البشر.

وأخيرًا، يمكن إعطاء تعريف اصطلاحي شامل للأسطورة بالقول: إنّها حكاية أو قصّة ترتبط حصرًا بالمقدّس والدين، تتضمّن وصفًا لبطولات ومغامرات وأحداث شخوصها آلهة مبتدعون، أو أنصاف آلهة، أو أبطال خارقون لهم القدرة على التصرّف في عالم التكوين، أو إبداء معاجز في زمان مجهول مغاير، وتتناول موضوعاتٍ ذات منحًى فلسفيٍّ مختصٍّ بالوجود والمبدإ والمنتهى، مثل أصل وجود الإنسان ونشوء الكون وتفسير مظاهر الطبيعة. وما يجدر قوله إنّ الأسطورة أصبحت علمًا يدرس في الجامعات باسم "الميثولجيا".

ثانيًا: مصطلحات ذات علاقة

ومن الضروريّ بيان بعض المفاهيم التي قد تتداخل مع مفهوم الأسطورة، وهي الخرافة والخزعبل.

أ ـ الخرافة

1ـ الخرافة لغةً

هناك معانٍ عديدة لمادّة خرف [انظر: الزبيدي، تاج العروس، ص 796]، وما يهمّنا هو مفردة خُرافة، وقد ذكرت المجامع اللغوية أنّ المفردة في الأصل عبارة عن اسم لأحدهم من بني عذرة أو جهينة اختطف من قبل الجنّ، ثمّ لما رجع إلى قومه أخذ يحدّثهم عن أمور عجيبة دعتهم إلى اتّهامه بالكذب، ثمّ اقترن اسمه بما يصعب تصديقه، وجرى ذلك على ألسن الناس، ويطلقونه أيضًا على كلّ ما يُستملَح ويُعجَب به من الأقوال. [انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج 2 ، ص 1140]

2- هي الموضوعات أو العناصر المتكرّرة التي تستخدم في الأدب والفنّ والموسيقى من أجل إيصال الفكرة للمتلقّي.

إذن الخرافة لغويًّا أمور غير واقعية، ولكن تجد لها هوًى في قلوب الناس؛ لما تحتويه من غرابة تريح خيال الإنسان، حالها حال ما تعمله الأفلام في نفس الإنسان، رغم يقينه بعدم مطابقتها للواقع.

2ـ الخرافة اصطلاحًا

لا يخفى الارتباط في الذهنية العامّة أو الخاصّة بين الأسطورة والخرافة، فعند ذكر أحدهما يتداعى الآخر؛ ولذلك عادةً ما يذكر الباحثون الخرافة بالبيان عند دراستهم للأسطورة.

لفظ "الخرافة" شامل لموضوعات عديدة، منها إطلاقه على بعض ما يعتقده الناس من أمور تبرّعية مختلقة، أو تلك التي تحوّلت إلى معتقدات عند بعضهم، كما يطلق على الحكايات الشعبية الساذجة ذات الأحداث الغريبة، الفاقدة للعمق الفلسفي. وقد تطلق على ما يقابل العلم. [انظر: سيجال، الخرافة، ص 21 و22]

فإنّ بعض الخرافات تعدّ من أصول الدين في بعض الأديان، كتناسخ الأرواح والتثليث وعبادة الكواكب والأصنام والطوطم والتعبّد لمظاهر الطبيعة وغير ذلك. كما أنّ الخرافة قد تكون خارج إطار الأمور الدينية، كما نرى في حياتنا اليومية إيمان الناس بأمور لا دليل عليها من دين أو عقل، بل نتيجة مناسبات وملابسات معيّنة، كما في التشاؤم من بعض الكائنات وأصواتها أو الامتناع عن الخروج بسبب العطاس.

وتفرق الأسطورة عن الخرافة في أنّ الأولى سردية لأحداث ذات سياق واحد متكامل من البداية إلى النهاية، تعالج موضوعًا له مساس بالوجود، وبعبارة أخرى موضوعاتها فلسفية، ولا بدّ من وجود أشخاص معيّنين هم أبطال الأسطورة، سواء كانوا من الآلهة أو الأبطال النوعيين كأسطورة الإلياذة والأوديسة وجلجامش، بينما الخرافة تفتقد للسردية، فهي مجرّد إيمان مباشر بأمر ما، سواءٌ ألبس ثوب الدين أو لا، وكمثال للخرافة التي لبست ثوب الدين ذلك الصليب الذي رآه قسطنطين الأكبر يتأرجح معلّقًا في السماء عام 312 م، وعدّه معجزةً تدلّ على أحقّية المسيحية، وبناءً عليه اعتنق مع شعبه النصرانية مع أنّ حقيقة الأمر أنّها ظاهرة طبيعية لها شرحها العلمي. [انظر: عبد المحسن صالح، الإنسان الحائر بين العلم والخرافة، ص 10 و11] أو تكون ذات سردية، ولكنّها سردية شعبية ساذجة تفتقد إلى العمق الفلسفي، وليس لها نصيب من الواقع. أمّا الأسطورة فهي تحاول أن تحكي الواقع بشكل رمزي أو تعبّر عن تاريخ حقيقي كما ذكر ميرتشا إلياده (Mircea Eliade). [انظر: صانع بور، ميثولوجيا الحداثة، ص 31؛ حسن مجيب مصري، الأسطورة بين العرب والفرس والترك.. دراسة مقارنة، ص 16]

إلّا أنّ هـذا لا يمنـع مـن القـول بوجـود تداخـل أحيانًـا بـين الأسـطورة والخرافـة في بعـض المـوارد، على الأقـلّ عنـد بعـض الباحثـين [انظـر: سيجال، الخرافـة، ص 14 و15]، ولـم تتحـوّل الخرافـة إلى علـم يـدرس كمـا الأسـطورة.

ب ـ الخزعبل

1ـ الخزعبل لغةً

أشـارت المعاجـم إلى المعـاني التاليـة لهـذه المفـردة: الأحاديـث المسـتظرفة، الباطـل (خزعبيـل)، العَجَـب (الخُزعبِلَـة)، الأضحوكـة (الخُزعبيلـة) [انظـر: الفيروزآبـادي، القامـوس المحيـط، ص 992]، وقـال في لسـان العـرب: «الخُزَعْبِـل والخُزَعْبِيـل الباطـل وفي الصحـاح الأَباطيـل، قـال الجـرمي: الخُزَعْبِيلـة مـا أَضْحَكْـتَ بـه القـوم. يقـال: هـات بعـض خُزَعْبيلاتـك. خُزَعْبيـلاتُ الـكلام: هَـزْله ومِزَاحـه. والخُزَعْبِلـة الفُكاهـة والمِـزاح، ومـن أَسـماء العَجَـب الخُزَعْبِلـة والحَدَنْبَـدَى، وقـال ابـن دريـد: خَزَعْبَـل وخُزَعْبِيـل هي الأَحاديـث المسـتَظْرَفة» [ابـن منظـور، لسـان العـرب، ج 2، ص 1150]. وهـذا مـا صرّح بـه أيضًـا في تـاج العـروس: «الأحاديـثُ المُسْـتَظْرَفَةُ الـتي يُضْحَـكُ منهـا ... والخُزَعْبِيلَـةُ: الأُضْحُوكَةُ يقـال: هـاتِ بعـضَ خُزَعْبِيلاتِـك» [الزبيـدي، تـاج العـروس، ج 28، ص 408]. فيكـون معـنى الخزعبـل هـو الـكلام الذي تختـصّ أجـواؤه بالضحـك والإضحـاك والمـزاح.

2ـ الخزعبل اصطلاحًا

قـد يسـتخدم لفـظ الخزعبـل ـ الخزعبـلات ـ اصطلاحًـا اليـوم للإشـارة إلى المعـنى الذي تـدلّ عليـه الأسـطورة والخرافـة، كمـا فعـل عبـد المحسـن صالـح في تمهيـد كتابـه "الإنسـان الحائـر بـين العلـم والخرافـة" [انظـر: عبـد المحسـن صالـح، الإنسـان الحائـر بـين العلـم والخرافـة، ص 9]. ولكـن في الواقـع لـم أجد في حـدود مطالعـاتي للبحـث مـن يعـرّف "الخزعبـلات" اصطلاحًـا؛ لذلـك نضطـرّ إلى الابتعـاد عـن أهـل الاختصـاص والاقـتراب إلى اقتنـاص المعـنى الاصطـلاحي مـن خـلال الاسـتخدام العـرفي له من قبـل النـاس، فالنـاس اليـوم إذا أرادت أن تصـف كلامًـا غـير منطـقي أو مبالغـاتٍ تعسّـفيةً لا دليـل عليهـا، فإنّهـم يصفونـه بأنّـه خزعبـلات للتقليـل مـن قيمتـه ولنسـف مصداقيتـه، وقـد تسـتخدم المفـردة مرادفـةً للخرافـة أحيانًـا في بعـض الكتابـات غـير التخصّصيـة وصفًـا لحالـة تسـطيح الفكـر والابتعـاد عـن العقـل. [انظـر: الزهـراني، مقالـة: الخزعبـلات، وصناعـة وعـي الرفـات، صحيفـة المدينـة؛ ريـم البريـكي، الخزعبـلات إيحـاء يتحكّـم في حيـاة النـاس، مقالـة لمركـز الاتّحـاد للأخبـار]

وهناك مصادر أخرى أرى أنّها غير مهمّة؛ لأنّها ليست تخصّصيةً كالصحف والمجلّات، وعمومًا فإنّ البحث في الخزعبل جاء لمقتضيات بحثنا هذا وحسب، ولا يشكّل أهمّيةً في أصل الدراسة.

المبحث الثاني: الأسطورة والعقيدة

أوّلًا: المضامين العقدية في الأساطير

هناك شبه بين الأسطورة أو بالأحرى منتظم الفكر الأسطوري والعقيدة، وأقصد بالعقيدة مفهومها بالحمل الأوّلي، فالتفاصيل التي تتضمّنها الأساطير منسجمة مع ما نسمّيه اليوم الرؤية الكونية المعبّرة عن نظرة الإنسان إلى الوجود، وتحمل عمقًا فلسفيًّا مفسّرًا للعالم ونشأته، وهذا بالضبط ما تقوم به العقيدة من وظيفة.

وغير خفيٍّ أنّ هناك مقتضيًا في شخصية الإنسان يجعله مختلفًا نوعًا عن بقيّة أنواع جنسه من الحيوانات، فغير الإنسان من الحيوان غير متمكن من أن يخرج من ذاته والإطار الزماني ـ المكاني المحبوس فيه، فهو قد خُلق وفق نمط معيّن غير متمكن من الانفلات منه، أمّا الإنسان فهو موجود ميتافيزيقي متخطٍّ لحدود الظواهر، وإذا كان مأسورًا فلعنصري الانبهار والدهشة فحسب، ويقول محمد عبد الرحمن مرحبا: «ففي دخيلة كلٍّ منّا شعور بالانبهار والدهشة واقتناع كامن بوجود سرٍّ أو لغزٍ ينساب من الكون ويتحدّى الإنسان، وإزاء هذا السرّ العظيم لا يقف الإنسان مكتوف اليدين، ولا يسعه ذلك، بل تلاحقه الأسئلة تترى وتتعجّل الجواب عنها: من أين جئنا؟ من أوجدنا؟ ما غاية وجودنا؟ ما مصيرنا بعد الموت؟ ما الخير وما الشرّ؟ كيف وجد العالم؟ ما أصله ومصيره؟»

[محمد عبد الرحمن مرحبا، من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية، ج 1، ص 26].

إنّ تعبير شعوب العالم القديم وبعض شعوب اليوم عمّا يدور في مخيّلتهم عن الوجود ونشأة الكون يتمثّل في أسطورة عادةً. [انظر: طه باقر، ملحمة كلكامش، ص 4]

ومن قبيل ذلك ما يوجد في أشعار هزيود الأسكرائي (Hesiod) في القرن الثامن قبل الميلاد التي يفصّل فيها نشأة الأرض والسماء في قصيدتيه (ولادة الآلهة والأعمال والأيّام)؛ إذ يروي أنّ الأرض التي انبثقت من العدم والظلام كانت موطنًا للآلهة الخالدين، ثمّ من الأرض انبثقت السماء ومن خلال التزاوج بين السماء والأرض انبثق آلهة معيّنة، وقصيدته

"الأعمال والأيّام" يضع أسطورته في خلق الأجيال الخمسة وهي بالترتيب (الجنس الذهبي ـ الفضّي ـ البرونزي ـ السعداء ـ الأشقياء). [انظر: ماجد فخري، تاريخ الفلسفة اليونانية من طاليس إلى أفلوطين وبرقلس، ص 7]

إنّ الأساطير التي كتبها السومريون هي التي دلّتنا بحسب صموئيل كريمر على المحاولات التأمّلية في طبيعة خلقة الكون وما تتحكم فيه من قوانين، والتي تقابل ما يعرف اليوم باسم "فلسفة المعرفة"، وتوصّلوا إلى إجابات تحوّلت إلى عقائد تمّ تبنّيها من شعوب الشرق الأدنى القديم. [انظر: كريمر، ألواح سومر، ترجمة طه باقر، ص 152]

وهذا ما يمكن العثور عليه في أسطورة كلكامش في بلاد الرافدين، التي تحكي قصّة باحث عن الخلود، ثلثاه إلٰه وثلثه بشري [انظر: طه باقر، ملحمة كلكامش، ص 11]، فهذه الأسطورة تناولت ما يطلق عليه في علم الكلام والعقائد "أصل المعاد"، وكيف يمكن للإنسان أن يجد حلًّا لقضيّة الموت، وهل يمكن له الخلود. ومثل ذلك تجده في الأوديسة عندما يتحدّث أوديسيوس (Odysseus) عن رحلته إلى العالم الآخر، ولم يكن وحده الذي ذهب إلى ذلك العالم المرعب، بل سبقه بحسب الأسطورة أبطال مثل ثيسيوس (Theseus) وهرقل (Heracles) [انظر: هوميروس، الإلياذة، ص 179].

وتجد في بقيّة الأساطير اليونانية مثلًا أنّ الإنسان مركّب من نفس وجسد، والموت يُرجع الجسد إلى أصله الذي تكوّن منه، وهما عنصرا الماء والتراب، وأمّا النفس فهي هواء لطيف يتحوّل إلى شبح لا يحسّ به الأحياء، فمصيرها النزول إلى جوف الأرض محتفظةً بكامل الشعور، ولكنّها فاقدة للقدرة على الحركة. [انظر: يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية، ص 2] ويشكّل ذلك منبّهًا على أنّهم كانوا يؤمنون بعالم آخر غير عالم الحضور.

والملفت في هذا الإطار أنّ السومريين كانوا وفي ضمن تفسيرهم لنشأة الكون، يعتقدون بأنّ البحر اللامتناهي محيط بالسماء والأرض، فالعالم عندهم من هذين العنصرين فقط، وأنّه هو من يدير العالم بأجمعه، وملخّص نظريتهم أنّه «كان هناك أوّلًا البحر الأوّل. وتشير الدلائل إلى أنّهم كانوا ينظرون إلى ذلك البحر على أنّه أوّل سبب وأهمّ محرّك، ولم يسألوا أنفسهم قطّ عمّا قد سبق البحر من الزمان والمكان. وفي هذا البحر الأوّل ولد بطريقةٍ ما الكون (أي السماء ـ الأرض)، المكوّن من قبّة السماء التي وضعت فوق أرض منبسطة ومتّصلة بها، إلّا أنّه حلّ بينهما الجوّ المتحرّك المتمدّد الذي فصل السماء عن الأرض، وتولّدت من هذا "الجوّ" المجموعة النيّرة من الأجرام وهي، القمر والشمس والكواكب والنجوم. وبعد

فصل السماء عن الأرض وخلق المجموعة النجمية المضيئة ظهرت إلى الوجود الحياة النباتية والحيوانية والبشرية» [كريمر، السومريون.. تاريخهم وحضارتهم وخصائصهم، ص 150]، وما ذكر في النصّ يشبه ما ورد في القرآن حول علاقة أوّل الخلق بالماء، وأنّ الماء شكّل عنصرًا مهمًّا في الخطاب القرآني، سواء على مستوى التكوين الأوّل للعالم أو على مستوى تذكير الناس بالنعم الإلهية، أو الإلفات إلى مراحل خلق الكائنات، أو حينما يكون الماء عذابًا من الله. فلقد ذكر في القرآن ثلاثًا وستّين مرّةً، كما ذكر بألفاظ أخرى كالمطر والغيث والوابل. [انظر: الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج 8، ص 91]

وبالرجوع إلى قصّة الخلق البابلية التي تدعى "أينوما ـ إيليش" (Enuma Elish)، نرى ما يشبه النصوص الدينية في الأديان السماوية فيما يخصّ قصّة التكوين والخلق ومسألة آدم وحوّاء وهابيل وقابيل، ففي اللوح الأوّل من الملحمة: «عندما في الأعالي لم يكن هناك سماء وفي الأسفل لم يكن هناك أرض. لم يكن (من الآلهة) سوى أبسو أبوهم، وممو، وتعامة التي حملت بهم جميعًا. يمزجون أمواههم معًا. قبل أن تظهر الراعي وتتشكّل سبخات القصب، قبل أن يظهر للوجود الآلهة الآخرون، قبل أن تمنح لهم أسماؤهم، وترسم أقدارهم. في ذلك الزمن خلق الآلهة (الثلاثة) في أعماقهم (لخمو) و (لخامو) ومنح لهما اسميهما» [إنوما - إليش، ص 1]. ولقد عرف البابليون والآشوريون التوحيد، عندما اعتقدوا بإله واحد لا شريك له لم يلد ولم يولد. وما الآلهة إلّا أسماء للصفات الإلهية أو مظاهر القدرة الإلهية، ولكن حينما شخّصوها أفسدوا التوحيد، كما عند بقيّة الشعوب القديمة. [انظر: إبراهيم مدكور ويوسف كرم، دروس في تاريخ الفلسفة، ص 4]

وبحيثية إنّ الأساطير قد يكون لها نصيب من الواقع كما ذكرنا في الفرق بينها وبين الخرافة، فقد تكون بعض الأفكار والمعاني مقتبسةً من أنبياء لم تستطع الذاكرة البشرية الاحتفاظ بأسمائهم أو المعتقدات الحقيقة لهم؛ لأنّ ما جاء فيها لا بدّ أن يكون من مصدر خارج البيئة البشرية المعتادة أي عالم الغيب. وبالتالي عندما علموا الحقائق المختلفة سواء ما يخصّ العقيدة أو المتعلّق بصيغ الممارسات اليومية من طبّ وغذاء وزراعة وصناعة صاغوها بما يقدرون عليه من ألفاظ وطرق تعبير عرفت بعد ذلك بالشعر أو النثر أو الترنيمة بما يطلق عليه اليوم أسطورة، وفي كتاب الإهليلجة يثبت الامام جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام للطبيب الهندي أنّ كلّ ما عند البشر هو من عند الله ﷻ بواسطة أنبيائه. [انظر: مجموعة مؤلّفين، الأسطورة توثيق حضاري، ص 102 و103]

ولا أدّعي أنّ كلّ أسطورة تحمل معاني ومضامين عقديةً أو دينيةً، فهناك بعض الأساطير تخلو من أيّ عنصر ديني. [انظر: لوسيف، فلسفة الأسطورة، ص 160]

ثانيًا: الحداثيون والأسطورة

وفي إشارة إلى الجانب الواقعي للأسطورة وعلاقتها بالبعد العقدي عند الإنسان فإنّ محمد أركون نظّر للأسطورة من خلال علائق التوتّر البينية حيث يقول: «كان هناك دائمًا في الثقافة الخاضعة مصطلح وموضوعات لأديان الكتاب (يهودية، مسيحية، إسلام) وللفلسفة الإغريقية توتّر ما بين الأسطورة والعقل (Muthos et logos)، وما بين الرمز والعلامة أو الإشارة، وبين المعنى والحرف، والمجاز والمفهوم، بين المخيالي والعقلي، وبين القواعد النحوية للّغات الطبيعية والمنطق الشكلي المبنيّ نتيجة التصنيفات العقلية المعروفة بالمقولات» [أركون، تاريخية الفكر العربي الإسلامي، ص 70].

وبناءً على ذلك أسّس دراسته للقرآن مثلًا من منطلق أنّ الأخير هو خطاب أسطوري البنية، وبعبارة أخرى «إنّه يعني أنّ البنية اللغوية أو الأسلوبية للقرآن هي بنية مجازية رمزية في معظمها. فالمجاز والاستعارة والحكاية وضرب الأمثال تخترق كلّية الخطاب القرآني من أوّله إلى آخره، وهي على أيّ حال إحدى أهمّ سمات الخطاب الديني بشكل عامّ» [أركون، الإسلام والحداثة، مجلّة مواقف، العددان 59 و60، ص 34].

ومن الجدير بالذكر أنّ هذه الرؤية إلى القرآن الكريم والخطاب الديني عمومًا، هي التي يتّخذها أتباع الحداثة وما بعدها كواحدة من السبل التي ينطلقون منها في مختلف دراساتهم للنصّ الديني، وعلى إثر ذلك يذهبون إلى أنّ العقل الديني بشكل عامّ، والإسلامي بشكل خاصّ، يتأسّس من بنية أسطورية؛ باعتباره عقلًا يتضمّن التركيبات الخيالية، ويسبح في بحر من الحقائق المتخيّلة، ويتعامل مع الكائنات والقوى الرمزية أو القصصية والخارقة للطبيعة. ويعتقدون بأنّها قادرة على أن تحكم الكون، وأن تولّد المعجزات طبقًا لمنطق المعرفة العجائبية والأسطورية [انظر: أركون، قضايا في نقد العقل الديني، ص 219 و220]، ومن ثمّ يعدّون القرآن ـ الذي هو عبارة عن أكبر تجلٍّ للعقل الإلهي ـ خطابًا أسطوري البنية [انظر: أركون، تاريخية الفكر العربي الإسلامي، ص 10]، ولعلّ من أهمّ الاهداف التي يرمي إليها هؤلاء، حينما يعدّون النصّ الديني نصًّا أسطوريًّا هو نزع القدسية عنه. [انظر: أركون، الفكر الإسلامي.. قراءة علمية، ص 202 - 207]

ولكـن نتيجـة وقـوع بعـض المفـردات والمصطلحـات في نفـوس العـرب والمسـلمين، فقـد قامـوا بترجمتهـا بشـكل مختلـف، فمصطلـح "الأسـطورة" مثـلًا يثـير في نفـوس المسـلمين حالـةً مـن الغضب عنـد وصـف بعـض الأمـور بـه كالقـرآن مثـلًا؛ باعتبـار أنّهـم يربطـون بـين هـذه المفـردة وبـين الأكذوبـة أو الخرافـة، ومـن هنـا فقـد لجـؤوا إلى بدائـل أخـرى؛ إذ يسـتخدمون كلمـة (MYTHE) وبالإنجليزيـة (MYTH) وكلتـا الكلمتـين تعـني الخرافـة أو الحكايـة، والكلمتـان جاءتـا مـن الكلمـة الإغريقيـة (MUTHOS) [انظـر: أركـون، تاريخيـة الفكـر العـربي الإسـلامي، ص 24].

وعلى هـذا الأسـاس فـإنّ كلّ مـا يرتبـط بما هو خـارق للطبيعـة، وبالتعـالي الإلـهي أو الميتافيزيقي، وبالآلهـة المهيمنـة، وبالعقائـد الدينيـة فهـو ينـدرج ضمـن نطـاق الأمـور الأسـطورية الشـعبية والخرافيـة؛ وذلـك باعتبـار أنّهـا مـن صنـع البـشر، وأنّهـم هـم الذيـن خلقـوا تلـك التصـوّرات عـن الإله الذي يجـب أن يعبـد وعـن تلـك الشـعائر الدينيـة المختلفـة، ويدّعـون أنّـه لـو لـم يخلـق البـشر هـذه التصـوّرات أو على الأقـلّ لـم يؤمنـوا بهـا لمـا وجـدت. [انظـر: أركـون، قضايـا في نقـد العقـل الدينـي، ص 132 و133]

المبحث الثالث: أسباب نشوء الفكر الأسطوري

ليـس مـن السـهل الخـوض في الأسـباب الـتي دعـت إلى نشـوء الأسـاطير عنـد شـعوب العالـم القديـم، والمتخصّصـون في علـم الإنسـان (Anthropology) لـم يذكـروا إلّا الـنزر اليسـير في تقريباتهـم حـول الأسـطورة، فهـم عادةً يبحثـون عـن نفـس الأسـطورة ويدرسـون شـخوصها ويحلّلـون العلاقات القائمـة بـين عناصرهـا، ويربطـون الأسـطورة بالفكـر الديـني عنـد الإنسـان عادةً. [انظـر: إليـاد، مظاهـر الأسـطورة، ص 17 و18]

وذكـر بعـض الباحثين أسـبابًا دعـت إلى نشـوء الأسـطورة [انظـر: السـواح، مغامـرة العقـل الأولى، ص 21 - 24]، إلّا أنّـه بالإمـكان ذكـر سـببين شـكّلا المصـدر الأسـاس لـكلّ تلـك الأسـباب، وهمـا: فقدان التفسـير العقـلي والنـصّي للوجـود والمنهـج المـادّي في التفكير.

أوّلًا: فقدان التفسير العقلي والنصّي للوجود

وقـد يطلـق على هـذا السـبب النظريـة الدينيـة في نشـأة الأسـطورة، فالإنسـان إذا لـم يجـد أجوبـةً عمّـا يـدور في ذهنـه مـن أسـئلة حائـرة تفـسّر له وجـوده وحقيقـة العالـم الذي يعيشـه، ومـن أيـن

بدأ وإلى أين يسير، فإنّه يلجأ إلى الخيال والأوهام من أجل إشباع الحاجة المعرفية التي تلحّ عليه بقوّة. [انظر: سلامة، الأساطير اليونانية والرومانية، ص 3] يقول كانط: «للعقل البشري، في نوع من معارفه، هذا القدر الخاصّ: أن يكون مرهقًا بأسئلة لا يمكنه ردّها؛ لأنّها مفروضة عليه بطبيعة العقل نفسه، ولا يمكنه أيضًا أن يجيب عنها؛ لأنّها تتخطّى كلّيًّا قدرة العقل البشري» [كانت، نقد العقل المحض، ص 25]. فعندما لاحظ الإنسان أنّ كلّ ما حوله خاضع لقوانين وأسباب، عرف أنّ خلف كلّ ذلك قوّةً لا يراها، وبعد تجارب أخذت زمنًا طويلًا أبدى عجزه أمام كلّ مظاهر الحياة واتّجه للتقرّب إلى ما ظنّ أنّه السبب في كلّ ذلك، وبالتالي فالأسطورة توفّر للإنسان في تلك المرحلة التاريخية أسلوبًا معرفيًّا وأداة كشف توصله إلى الحقائق وتضمن دورًا له في دورة الحياة. [انظر: السواح، مغامرة العقل الأولى، ص 18]

وهذا ربّما ما يقصده جوزيف كامبل (Joseph Campbell) بقوله: «الأساطير هي مفاتيح القوى الروحية للإنسان» [انظر: كامبل، قوّة الأسطورة، ص 22]. وفي الاتّجاه نفسه قال محمد عبد الرحمن مرحبا: «بوجود سرٍّ أو لغزٍ ينساب من الكون ويتحدّى الإنسان، وإزاء هذا السرّ العظيم لا يقف الإنسان مكتوف اليدين» [محمد عبد الرحمن مرحبا، من الفلسفة اليونانية إلى الفسلفة الإسلامية، ج 1، ص 26].

ولا ندعم أسبقية الأسطورة على الدين، بل نؤمن بالعكس تمامًا وفقًا للقرآن الذي يصرّح: ﴿**وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ**﴾ [سورة فاطر: 24]، ولكن هناك فترات زمنية بينية تخلو من الأنبياء يعلو فيها صوت الجهل؛ لأنّ الإنذار بإرسال الأنبياء وإن كان عامًّا، ولكن ليس من الضرورة وصول الدعوة لكلّ شخص أو لكلّ المجتمع، فقد تكون هناك موانع تحول دون سماع دعوات الأنبياء، فلا تتمّ الحجّة عليهم [انظر: الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج 17، ص 19]، ثمّ إنّ الأساطير كما ذكرنا قد تكون تحكي عن واقع، ولكنّها حكاية مبالغة وإضافات كما في قصّة النبيّ سليمان عليه السلام، وهذه المبالغات والإضافات النابعة من المخيّلة تنمّ عن ضعف التفكير المنطقي والعلمي؛ ولذلك يقول السيّد الطباطبائي: «الأخبار المرويّة في قصصه[3]، وخاصّةً في قصّة الهدهد وما يتبعها من أخباره مع ملكة سبإٍ، يتضمّن أكثرها أمورًا غريبةً قلّما يوجد نظائرها في الأساطير الخرافية، يأباها العقل السليم ويكذّبها التاريخ القطعي» [المصدر السابق، ج 15، ص 189]. وبحسب النظرية الدينية فإنّ نشوء الأساطير يرجع إلى القصص المذكورة في النصوص الدينية، كما في قصّة الحارس التنّين للتفّاحات الذهبية التي قيل إنّها ذات الحيّة التي خدعت حوّاء عليها السلام. [انظر: صانع بور، ميثولوجيا الحداثة.. الأصل الإغريقي لأسطورة الغرب، ص 41]

3. أي سليمان عليه السلام.

وبحسب ميرتشا إلياده فإنّ الزمن الذي نشأت فيه الأسطورة هو الزمن القويّ المقدّس، وتكمن دينية الأسطورة من خلال التعبّد بتلاوتها من أجل استحضار قدسية ذلك الزمن الأوّل للانتفاع اللحظي به من خلال استدعاء الكائنات العليا التي تجدّد الأعمال الخلّاقة القادرة على أدائها في كلّ زمن عند ربطه بزمن النشوء الأوّل من خلال أداء التلاوة. [انظر: إلياد، مظاهر الأسطورة، ص 12]

إنّ اكتشاف السبب الديني في نشأة الأساطير يمكن اكتشافه من خلال قضيّة نشأة الكون، فاغلب الاساطير تحكي قصة نشوء الكون وهذا الموضوع هو العنوان الرئيسي في الأديان [انظر: المصدر السابق]، ويثبت الباحث مايلز (Geoffrey Miles) أنّ تاريخ الميثولوجيا يبدأ بما يطلق عليه مرحلة الأصول، وهي المرحلة الإلهية التي تبحث نشأة الآلهة وتناسلها، ثمّ تبدأ المراحل الأخرى التي يبدأ فيها فاعلية العنصر البشري. [انظر: صانع بور، ميثولوجيا الحداثة.. الأصل الإغريقي لأسطورة الغرب ص 44]

وكمثال على ذلك ما ذكره الدكتور طه باقر من الشبه بين روايات الطوفان في مختلف الأمم التي تأثّرت بملحمة كلكامش البابلية التي ذكرته وبين رواية التوراة، ويذهب إلى أنّ الطوفان المشار إليه حادثة واقعية تاريخية حدثت في القسم الجنوبي من العراق القديم في المنطقة التي عاش فيها نوح عليه السلام. [انظر: طه باقر، ملحمة كلكامش، ص 16]

أو ما ذكره صمويل كريمر من التشابه بين ما جاء في أسطورة أنكي وننخرساج السومرية وقصّة الفردوس التوراتية حيث يقول: «ونذكر أيضًا أكل الإله أنكي من النباتات الثمانية واللعنة التي لعن بها من أجل ذلك الذنب؛ حيث يذكّرنا ذلك بقصّة أكل آدم وحوّاء من ثمرة شجرة المعرفة» [انظر: كريمر، من ألواح سومر، ص 243].

وحتّى النظريات الأخرى كالتاريخية والباطنية والفيزيائية التي حاولت إعطاء أسباب غير العامل الديني في نشأة الأساطير، فإنّ المحور الذي تدور فيه بحوثها يرجع إلى الحالة الدينية، فما من تنظير إلّا ويستعين بقضية الآلهة ورمزياتها، فالنظرية الفيزيائية مثلًا عدّت الهواء والماء والنار آلهةً مشرفةً على الكون، وبالتالي لم تتخلّص من التفسير الديني لنشأة الأساطير. [انظر: المصدر السابق، ص 43]

ثانيًا: المنهج المادّي في التفكير

يركن الإنسان أحيانًا إلى رفض التفكير المنطقي ويلجأ إلى الاعتقادات الأسطورية نتيجةً للانغماس في الحسّ والتفكير المادّي، وكمثال على ذلك حينما قال بنو إسرائيل لنبيّهم موسى نريد أن نرى الخالق بأعيننا: ﴿**وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ**﴾ [سورة البقرة: 55]

وهذا المنهج نفسه اتّبعه أهل الكتاب عندما طلبوا من النبيّ الخاتم ﷺ أن ينزّل عليهم كتاب من عند الله أو أن يروا الله بأعينهم الحسّية: ﴿**يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا**﴾ [سورة النساء: 153].

وهذا التفكير المادّي البحت دفعهم إلى متابعة السامري في عبادة العجل، أو أن يطلبوا من نبيّهم أن يجعل لهم إلهًا تشبّهًا بأهل القرية التي مرّوا عليها ورأوهم يعبدون آلهةً: ﴿**وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ**﴾ [سورة الأعراف: 138].

وهذا ما يمكن أن يفسّر به أيضًا اختيار عمرو بن لُحَيٍّ عبادة هبل بعد أن رأى في بعض أسفاره عبادة الأصنام من قبل بعض القبائل، واقتناعه بذلك إلى الدرجة التي طلب منهم إعطاءه صنمًا ليسير به إلى مكّة. [انظر: عبد الملك بن هشام، السيرة النبوية، ج 1، ص 202]

إنّ صاحب التفكير المادّي وإن اعتنق دينًا ما، ولكنّه لا ينفكّ عن الحيثية المادّية في كلّ تصوّراته واعتقاداته، وقد تعوّد عدم التجرّد، وهذا ما تزخر به الأساطير، فترى اختلاط الآلهة المزعومة مع البشر، والقيام بتصرّفات بشرية كالزواج والأكل والشرب والسفر وعقد الاجتماعات [انظر: هوميروس، الأوديسة، ص 21]، أو أنّ أحدهم نصفه إله ونصفه الآخر إنسان! [انظر: طه باقر، ملحمة كلكامش، ص 11]

المبحث الرابع: تأثير الفكر الأسطوري على الفكر الإنساني

لا شكّ في أنّ النمط الأسطوري في التفكير أثّر تأثيرًا كبيرًا في الفكر الإنساني، وقاد الناس إلى الشرك والعبادة الطوطمية والصنمية وإزهاق حياة الأبرياء من النساء والأطفال بدافع التضحية للإله. [راجع: الخطيب، الحضارة الإغريقية، ص 74]

ولقد عطّل هذا النمط من الفكر العقل البشري ردحًا غير يسير من الزمن، وجعله يبتعد عن الحقّ، وبواسطته صار الإنسان ينظر إلى العالم بالمخيّلة والأوهام.

ومن الأمثلة على ذلك حقيقة النفس وما أنتجه الفكر الأسطوري حولها، فالأديان غير الكتابية التي لا خلاف في أنّها أديان أسطورية بكلّ ما للكلمة من معنًى، فإنّها وإن تناولت النفس بما يؤدّي إلى تسافلها وتكاملها، ولكن كان نتيجة ذلك تعاليم إفراطية شاذّة عن الفطرة. [راجع: الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج 6، ص 100]

إنّ الأساطير وإن أشبعت الحاجة النفسية للإنسان لمعرفة الواقع ردحًا من الزمان، إلّا أنّ ذلك مجرّد إشباع لا يعكس الحقيقة، وتجعله يجمح في خياله ويشطط في تفكيره، وكمثال على ذلك تلك القصّة المبثوثة في بعض كتب التواريخ والروايات والتي تخصّ قصّة هاروت وماروت وعلاقتهما الشائنة بامراة جميلة تدعى الزهرة، وأنّها مُسخت كوكبًا بعد أن تعرّفت على رمز العبور إلى السماء منهما[4].

ويعلّق الطباطبائي على هذه القصّة بقوله: «هذه قصّة خرافية تنسب إلى الملائكة المكرّمين الذين نصّ القرآن على نزاهة ساحتهم وطهارة وجودهم عن الشرك والمعصية أغلظ الشرك وأقبح المعصية، وهو: عبادة الصنم والقتل و الزنا وشرب الخمر وتنسب إلى كوكبة الزهرة أنّها امرأة زانية مسخت ـ وأنّها أضحوكة ـ و هي كوكبة سماوية طاهرة في طليعتها وصنعها أقسم الله تعالى عليها في قوله: ﴿**الْجَوَارِ الْكُنَّسِ**﴾ [سورة التكوير: 16]، على أنّ علم الفلك أظهر اليوم هويتها وكشف عن عنصرها وكمّيتها وكيفيتها وسائر شؤونها.

فهذه القصّة كالتي قبلها المذكورة في الرواية السابقة تطابق ما عند اليهود على ما قيل من قصّة هاروت وماروت، تلك القصّة الخرافية التي تشبه خرافات يونان في الكواكب والنجوم» [الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج 1، ص 137].

4- أخرج سعيد بن جرير والخطيب في تاريخه عن نافع قال: «سافرت مع ابن عمر فلمّا كان في آخر الليل، قال يا نافع: انظر هل طلعت الحمراء؟ قلت لا، مرّتين أو ثلاثًا ثمّ قلت: قد طلعت. قال: لا مرحبًا بها ولا أهلًا. قلت: سبحان الله! نجم مسخّر سامع مطيع. قال: ما قلت لك إلّا ما سمعت من رسول الله ﷺ. قال: إنّ الملائكة قالت: يا ربّ كيف صبرك على بني آدم في الخطايا والذنوب؟ قال: إنّي أبليتهم وعافيتهم. قالوا لو كنّا مكانهم ما عصيناك، قال: فاختاروا ملكين منكم، فلم يألوا جهدا أن يختاروا فاختاروا هاروت وماروت فنزلا، فألقى الله عليهما الشبق. قلت: وما الشبق؟ قال: الشهوة، فجاءت امرأة يقال لها الزهرة فوقعت في قلوبهما فجعل كلّ واحد منهما يخفي عن صاحبه ما في نفسه، ثمّ قال أحدهما للآخر: هل وقع في نفسك ما وقع في قلبي؟ قال: نعم، فطالباها لأنفسهما فقالت: لا أمكّنكما حتّى تعلّماني الاسم الذي تعرجان به إلى السماء وتهبطان فأبيا، ثمّ سألاها أيضًا فأبت. ففعلا فلمّا استطيرت طمسها الله كوكبًا وقطع أجنحتهما ثمّ سألا التوبة من ربّهما فخيّرهما، فقال: إن شئتما رددتكما إلى ما كنتما عليه، فإذا كان يوم القيامة عذّبتكما، وإن شئتما عذّبتكما في الدنيا، فإذا كان يوم القيامة رددتكما إلى ما كنتما عليه، فقال أحدهما لصاحبه إنّ عذاب الدنيا ينقطع ويزول، فاختارا عذاب الدنيا على عذاب الآخرة، فأوحى الله إليهما أن ائتيا بابل فانطلقا إلى بابل فخسف بهما فهما منكوسان بين السماء والأرض، معذّبان إلى يوم القيامة» [السيوطي، الدرّ المنثور، ج 1، ص 238].

وكما نرى فهذا المستوى الضحل من التفكير لم يسلم منه حتّى أهل العلم والتصنيف ومن يحسبون على التدقيق الروائي والفكري، فما بالك بالناس العاديين الذين منهجهم التقليد وفكرهم القبول السهل عن أيّ أحد، فإذا كان الفكر الأسطوري قديم قدم الإنسان وأنتج فكرًا يلائم ذاك الزمان، فإنّه ما فتأ يسكن العقول التي اتّخذت الجهل منهجًا.

ولكن يمكن القول إنّ النمط الأسطوري من الفكر قد لا يكون في صالح الملحدين؛ لأنّ الأسطورة التي تحكي عن الآلهة والأرباب [انظر: هوميروس، الأوديسة، ص 26] ـ وأحيانًا تُرجع إلى السماء، في إشارة إلى مبدإ العليّة، فما من شيء إلّا وله إله أو يكون هو إلهًا ـ تناغم الفطرة بوجود خالق للكون مسبّب الأسباب وإن اخطؤوا في معرفة حقيقته وعبدوا غيره، وحسب قول أحد الباحثين: «ليس ثمّة فرق جذري بين الفكر الديني والأسطوري، كلاهما وجدا أصلًا في نفس الظواهر الأساسية من الحياة الإنسانية. ولا نستطيع ـ في تطوّر الحضارة ـ أن نعيّن نقطةً تنتهي عندها الأسطورة ويبدأ الدين ... فالأسطورة منذ البدء دين بالقوّة» [الخطيب، الحضارة الإغريقية، ص49]. وكمثال على ذلك اذكر النصّ التالي من ملحمة كلكامش:

«بعد أن خلق جلجامش، وأحسن الإله العظيم خلقه

حباه (شمش) السماوي بالحسن، وخصّه (أدد) بالبطولة

جعل الآلهة العظام صورة جلجامش تامّةً كاملةً

كان طوله أحد عشر ذراعًا وعرض صدره تسعة أشبار

ثلثان منه إله، وثلثه الباقي بشر» [طه باقر، ملحمة كلكامش، ص 38].

وإذا كانت الأسطورة ربّما تكون قصّةً خياليةً تمثّل فيها قوى الطبيعة بأشخاص ذوي مغامرات بطولية برموز معيّنة كالأساطير اليونانية، فإنّها أيضًا تلك الصور الشعرية والروائية التي تعبّر عن مذهب فلسفي معيّن؛ فالأسلوب الرمزي يختلط فيه الوهم بالحقيقة كأسطورة الكهف في جمهورية أفلاطون أو قصّة سلامان وأبسال عند ابن سينا [انظر: جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج 1، ص 79]، وهذا ما يساعد على القول بأنّ بدايات الفكر الفلسفي الذي تأصّلت جذوره في اليونان [انظر: محمد عبد الرحمن مرحبا، من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية، ص 58] تمثّل في نمط الفكر الأسطوري عندما كانت أسطورتي الإلياذة والأوديسا أساس التعليم والتربية في اليونان القديم [انظر: طالبي، الفلسفة والأسطورة.. مقاربة بين أصول الفكر الأسطوري والفكر الفلسفي، مجلة الفكر، المجلّد السابع، العدد الأوّل، ص 304]، هذا إذا ما أضفنا أنّه لا يوجد فاصل زمني محدّد بين أنماط

التفكير الإنساني، وشيئًا فشيئًا ربّما وجد الإنسان ضالّته في الفكر الفلسفي المدرسي بعد سلسلة من العثرات في طريق البحث والتأمّل، فالإنسان تتراكم خبراته كمًّا وكيفًا بتفاعلاته الكثيرة مع الآخر ومع الأرض والظروف والمجتمعات والثقافات التي يتاح له التواصل معها عبر تطوّر زمني، وأقصد الفكر الفلسفي الحقيقي القائم على الأصول والقواعد المنطقية التي أرساها الأوائل، وليس ما صدر أثناء الحداثة أو بعدها من كتابات لا علاقة لها بالتفلسف الأصيل، بل راحوا يصفون كلّ تعبير أو رأي شخصي غير مستند إلى ركن وثيق أو إثارة من علم بأنّه فلسفة، أقول ذلك لأنّ الذهن إذا أخذ بقواعد التفكير الصحيح وتنظّمت آلياته في الوصول إلى الحقّ، تضعف دواعي الخرافة عنده وتضمحلّ الميول العاطفية، ويكون أقرب إلى اختيار العقيدة الصحيحة المتلائمة مع الفطرة الإنسانية.

وأمّا في العصر الحديث فإنّ الأسطورة كانت عاملًا من عوامل تبلور بعض الاتّجاهات أو النظريات في علوم مثل التاريخ أو النفس وعلم المسبّبات (Aetiology)، فإنّ فرويد (Sigmund Freud) مثلًا كتب كتابيه "تفسير الأحلام" و"التوتم والتابو" بتأثير قراءاته في الأساطير، كما يصرّح بذلك في تلك الكتب، كما أنّ تلميذه يونغ (Carl Jung) آمن بالأسطورة وتأثيرها في اللاشعور الجمعي [انظر: السواح، مغامرة العقل الأولى، ص 21 - 24]، ولكنّ إنتاج هذه النظريات لا يمثّل عاملًا إيجابيًّا في تأثير الأسطورة على الفكر الإنساني؛ لأنّ امثال هذه البحوث عمّقت النظرة المادّية للإنسانية، وحرفت العلوم صوب المنهج التجربي، وجعلته الوحيد في العلوم ممّا أضعف حضور عالم الغيب (الميتافيزيقيا) والمنهج البرهاني في البحوث العلمية.

وأخيرًا هناك بعدٌ ملاحظ في بعض الأساطير، وهو أنّها تهفو إلى القيم النبيلة والأخلاق الانسانية السامية من بطولة وشجاعة وعدالة وعفة وإخلاص واستنكار كلّ ما هو سلبي مثل الخيانة والتآمر [انظر: هوميروس، الأوديسة، ص 19]؛ ووفقًا لذلك يقول أحد المهتمّين بالبحث الميثولوجي: «وعادةً ما نجد في الأساطير مشاعر إنسانيةً جيّاشةً، وأحاسيس، وتصوّراتٍ، ومواقف، تطلعنا على فلسفة الإنسان في الوجود، وعلى محاولته الفكرية الأولى، التي تتضمّن خلاصة تجاربه وماضيه، وكيف كان يستنتج من هذه التجارب منطقه ومفاهيمه وتعامله مع واقعه، وفق منطق خاصّ، ووفق مضامين أخلاقية، تمّت صياغتها في قوالب أدبية ذات خصوصية، توارثتها الأجيال، وعدّلت فيها، وأضافت إليها؛ ممّا جعل الأسطورة محلّ عمل دائب لا يتوقّف، فهي حفرية حيّة» [القمني، الأسطورة والتراث، ص 25].

ومـن المهـمّ جـدًّا أن يصـار إلى العمـل على انـتزاع الـرؤى العقديـة مـن بطـون الأسـاطير وعـدم الاقتصـار في التركـيز على الجوانـب الأدبيـة، فكمـا أنّ بعـض الحداثيـين مثـل ميرتشـا إليـاده وفـراس السـواح وغيرهمـا يسـتدلّون بالأسـاطير على خرافيـة الأديـان، فينبـغي إثبـات العكس وأنّ الأسـطورة تعكـس العقليـة الدينيـة المسـتحوذة على الإنسـان. فهنـاك فـرق شاسـع بـين أن تتّخـذ الأسـطورة نمطًـا في التفكـير يجعلـك تتمـاهى مـع أصحابـه القدمـاء وكمـا أشرنـا إلى ذلـك أعـلاه بقولنـا: فإنّـه مـا فتـأ يسـكن العقـول الـتي اتّخـذت الجهـل منهجًـا، وبـين أن تنظـر إليهـا نظـرة الباحـث المدقّـق، وخصوصًـا أنّهـا أصبحـت علمًـا خاصًّـا باسـم "علـم الميثولوجيـا"؛ لأنّ الأسـاطير جـزء أسـاسي مـن حضـارات جميـع الشـعوب، ومنهـا أمّتنـا الإسـلامية بشـعوبها المتنوّعـة، وإذا كان ثمّـة اهتمـام بدراسـة الـتراث الإسـلامي، فـلا بـدّ مـن النظـر في ماهيـة الجوانـب الثقافيـة الـتي كانـت تعيشـها الشـعوب الإسـلامية قبـل دخولهـا في الإسـلام، ومـا مديـات تأثيرهـا فيهـا بعـد الإسـلام، ومثـال على ذلـك مـا يشـاهد مـن تأثـير ملحمـة "شـاهنامه" لفـردوسي على بعـض شـعوبنا، والبنـاء على مـا تخـرج بـه صفحاتهـا لقـراءة المسـتقبل، أو النظـر إلى بعـض أبطالهـا بوصفهـم رمـوزًا وطنيـةً وقوميـةً [انظـر: المـصري، الأسـطورة بـين العـرب والفـرس والـترك، ص 225 و226]، بـل وحفـظ بعـض أبياتهـا لتناسـب بعـض المواقـف، وهـذا مـا هـو مشـاهد عنـد مـن يفخـر بأسـطورة جلجامـش في وادي الرافديـن. والشـعب المـصري يبالـغ إلى اليـوم ببطلـه[5] سـيف بـن ذي يـزن الذي حـرّر الأرض العربيـة مـن الأعـداء، حـتّى جعـل له أعوانًـا مـن الجـنّ وغـير ذلـك. [انظـر: المصـدر السـابق]

5- من المعروف تاريخيًّا أن سيف بن ذي يزن ملك عربي يماني، ولكنّ الإخوة في مصر ينسبون أبطال العرب إليهم بدافع قومي عادةً.

الخاتمة

توصّلنا في البحث إلى النتائج التالية:

أوّلًا: أنّ الأساطير قد تعدّ من أصول الدين في بعض الأديان، وهناك وشائج كثيرة بين الأسطورة بوصفها نمطًا فكريًّا وبين الفكر الديني أو الأديان، ومن هنا تكمن خطورة مثل هذا النمط على الفكر الإنساني، فليس البحث عندهم أنّها حقيقية أم لا، بل الأهمّ من ذلك ما هو المقصود منها، فالقصدية في الأسطورة خلق وعي جماعي خاصّ قادر على تنميط الشعور بماوراء الطبيعة، فالإنسان موجود ميتافيزيقي متخطٍّ لحدود الظواهر، مأسور لعنصري الانبهار والدهشة.

ثانيًا: أثّرت الأساطير على الفكر الإنساني القديم سلبًا وجعلت الإنسان يتخبّط في مهاوي الشرك وعبادة الأوثان والطوطمية، ولكنّها في الوقت نفسه لم تكن في صالح الإلحاد؛ باعتبارها حكت عن الآلهة وسببية الأشياء في عالم الوجود. كما أنّها شكّلت بدايات نمط التفكير الفلسفي من خلال تراكم زمني طويل. وفي العصر الحديث تبلور بواسطة الأساطير نظريات في الفنّ والأدب وعلوم التاريخ والنفس وعلم المسبّبات، إلّا أنّ تلك النظريات والبحوث أقصت عالم الغيب والمنهج العقلي البرهاني، واعتمدت المنهج التجربي وحيدًا في العلوم.

ثالثًا: الحداثيون ينظرون نظرةً أسطوريةً إلى القرآن الكريم والخطاب الديني عمومًا في مختلف دراساتهم للنصّ الديني، وعلى إثر ذلك يذهبون إلى أنّ العقل الديني بشكل عامّ، والإسلامي بشكل خاصّ، يتأسس من بنية أسطورية؛ باعتباره عقلًا يتضمّن التركيبات الخيالية، ويسبح في بحر من الحقائق المتَخيَّلة، ويتعامل مع الكائنات والقوى الرمزية أو القصصية والخارقة للطبيعة.

رابعًا: هناك وشائج قويّة بين الأسطورة والدين أو بالأحرى بين نمط التفكير الأسطوري ونمط التفكير الديني، ويمكن اكتشاف السبب الديني في نشأة الأساطير من خلال قضيّة نشأة الكون، فأغلب الأساطير تحكي قصّة نشوء الكون، وهذا الموضوع هو العنوان الرئيسي في الأديان. وأيضًا من خلال التشابه بين ما تذكره بعض الأساطير وما جاء في الكتب المقدّسة للأديان.

خامسًا: ذكر بعض الدارسين أسبابًا عديدةً لنشوء الأسطورة، إلّا أنّ البحث ذكر سببين هما المصدر الأساس لكلّ تلك الأسباب، وهما: فقدان التفسير العقلي والنصّي للوجود والمنهج المادّي في التفكير. وقد يطلق على السبب عندهم النظرية الدينية في نشأة الأسطورة.

قائمة المصادر

القران الكريم

أركون، محمد، الإسلام والحداثة، مجلة مواقف، العدد 59 و 60، لندن، 1989.

أركون، محمد، الفكر الاسلامي.. قضايا علمية، ترجمة: هاشم صالح، مركز الانماء القومي، الطبعة الثانية، بيروت، 1996 م.

أركون، محمد، تاريخية الفكر العربي الإسلامي، ترجمة: هاشم صالح، مركز الانماء القومي، بيروت، الطبعة الثانية، 1996 م.

أركون، محمد، قضايا في نقد العقل الديني.. كيف نفهم الاسلام اليوم، ترجمة: هاشم صالح، دار الطليعة، بيروت.

إبراهيم مدكور ويوسف كرم، دروس في تاريخ الفلسفة، دار بيبليون، باريس، 2007 م.

إلياد، مرسيا، مظاهر الأسطورة، ترجمة: نهاد خياطة، دار صنعان للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، دمشق، 1991 م.

ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، 2003 م.

الخطيب، محمد، الحضارة الاغريقية، المنارة للانتاج الاعلامي والفني، الطبعة الاولى، بيروت، 1998 م.

الزبيدي الواسطي الحسيني، محمد مرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: علي شيري، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، 1414 هـ.

السواح، فراس، الأسطورة والمعنى.. دراسة في الميثولوجيا والديانات المشرقية، دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة، الطبعة الثانية، دمشق، 2001 م.

السواح، فراس، مغامرة العقل الأولى.. دراسة في الأسطورة.. سوريا وبلاد الرافدين، دار الكلمة، دمشق، 1988 م.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، الدرّ المنثور، دار الفكر، بيروت، 1993م.

الطباطبائي، محمدحسين، الميزان في تفسير القرآن، الأعلمي للمطبوعات، بيروت، الطبعة الأولى.

الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العقسوسي، مؤسّسة الرسالة، الطبعة الثامنة، بيروت، 2005 م.

القمني، سيد، الأسطورة والتراث، مؤسسة هنداوي، 2020 م.

المصري، حسن مجيب، الأسطورة بين العرب والفرس والترك.. دراسة مقارنة، الدار الثقافية للنشر، بلا.

بوعجيلة، منتصر، أسطورة الخلق البابلية إينوماليش، بيت الحكمة للدراسات الدينية المقارنة، بلا.

ديكسون، بول.ب.، الأسطورة والحداثة، ترجمة خليل كلفت، المجلس الأعلى للثقافة، 1998 م.

سلامة، أمين، الأساطير اليونانية والرومانية، 1988 م.

سيجال، روبرت، الخرافة، ترجمة: محمد سعد طنطاوي، مراجعة: إيمان عبد الغني نجم، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، الطبعة الأولى، 2014 م.

صانع بور، مريم، ميثولوجيا الحداثة.. الأصل الإغريقي لأسطورة الغرب، ترجمة: أسعد مندي الكعبي، المركز الاسلامي للدراسات الاستراتيجية، الطبعة الأولى، النجف الأشرف، 2018م.

صليبا، جميل، المعجم الفلسفي، ذوي القربى، قم، الطبعة الأولى، 1385 ش.

طالبي، محمد، الفلسفة والأسطورة.. مقاربة بين أصول الفكر الأسطوري والفكر الفلسفي، مجلّة الفكر، المجلّد السابع، العدد الأوّل، 2023 م.

طه باقر، ملحمة كلكامش أوديسة العراق الخالدة، بلا.

عبد المحسن صالح، الإنسان الحائر بين العلم والخرافة، سلسلة عالم المعرفة 235، الكويت، 1998 م.

عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، السيرة النبوية، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، الناشر: دار الجيل، بيروت، 1411 هـ.

قسم الدراسات والبحوث في جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية، الاسطورة توثيق حضاري، دار كيوان للطباعة و النشر والتوزيع، الطبعة الاولى، سورية ـ دمشق، 2009 م.

كامبل، جوزيف، قوّة الأسطورة، ترجمة حسن صقر ـ ميساء صقر، دار الكلمة للنشر والتوزيع، دمشق، الطبعة الاولى، 1999 م.

كانت، إمانويل، نقد العقل المحض، ترجمة: موسى وهبة، مركز الإنماء القومي، بيروت.

كريمر، صموئيل، من ألواح سومر، ترجمة الدكتور طه باقر، تقديم ومراجعة الدكتور أحمد فخري، مكتبة المثنّى، بغداد.

كريمر، صموئيل نوح، السومريون.. تاريخهم وحضارتهم وخصائصهم، ترجمة: فيصل الوائلي، وكالة المطبوعات، الكويت.

لوسيف، أليكسي، فلسفة الأسطورة، ترجمة: د. منذر بدر حلوم، دار الحوار للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، اللاذقية، 2000 م.

محمد عبد الرحمن مرحبا، من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية، عويدات للنشر والطباعة، بيروت، 2007 م.

مكارم الشيرازي، ناصر، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، مدرسة الإمام علي بن أبي طالب، قم، 1421 هـ.

هوميروس، الأوديسة، تحرير الشاعر: صموئيل بطلر، ترجمة: حنّا عبود، دار الحقائق، سوريا، الطبعة الأولى، 2007 م.

هوميروس، الإلياذة، ترجمة: سليمان البستاني، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة.

يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية، دار القلم، بيروت.